Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفنية عند دعبل تأبى أن تكون بسيطة . هنا يبرز الفنان الشعبي في دعبل ، فهو يستعير من ذاكرة الناس وتراثهم رمزاً ألِفُوهُ وعرفوه ، وليس له أن يُفَصِّلَ أو يُوَسِّع في الحديث عنه ؛ إنه ذلك الرمز الذي طالما كان في أحاديثهم ومسامراتهم وقصصهم ، كما كان في صلواتهم وفي قراءتهم لكتاب الله عز وجل . الرمز البسيط الموحي ، الرمز الشعبي والقادر على اختراق غياهب الحجج العقلية ، والفاعل أكثر من أي جدال ، رمز أخذه دعبل من النص القرآني حول أهل الكهف وكلبهم . والكلب ، ههنا ، هو بيت القصيد . المظلوم لا بدَّ له من شتم ظالمه ، والشتيمة بالكلب عفوية بسيطة ، لكن أن يكون الكلب أفضل ممن يُشْتَمُ به ، فههنا تفوّق دعبل ، وأن يأتي للكلب بهالة تمنع عنه السوء ، فهذا أروع ما في دعبل ، وهذا سر من أسرار صنعة الشعر الشعبي عرفها دعبل واتقنها ونجح بواسطتها ، ولعلَّ لإلتزامه الأكيد المؤمن بقضيته ما سهَّل له أمر اكتساب أسرار هذه الصنعة وحسن ممارستها .

وإذا ما دار الدهر دورته ، وقضى المعتصم ، ومثل بقية خلق الله ، عز وجل ، ووري الثرى ، وأتى من بعده من ورث عزه ومجده وسياسة أهله تجاه آل البيت ، انبرى دعبل الخزاعي يجمع بين الخليفة الذي ثوى والآخر الذي تولّى الأمر بكلام هو البعد الشعبي عينه ، وبتعابير وأفكار هي الأفكار البسيطة المباشرة التي تفيض من إبن شعب مقهور ، ولكن ملتزم بقضيته حتى النهاية . يعتمد دعبل صفات التفكير الشعبي وأحاسيسه وآماله من خلال البساطة والعفوية والمباشرة ، لكنه لا يتخلى عن « لعبته » الفنية السحرية ، فيقول :

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحدُ
فمرَّ هذا ومرَّ الشؤم يتبعه ... وقام هذا ، فقام الشؤم والنكدُ[٢٥]

فهل أبلغ وأبسط ، وأكثر التزاماً ، من هذا الكلام ؟ . هل من روعة تفوق هذه المباشرة الواضحة يقدمها شاعر إلى جموع المقهورين والمضطهدين من قبل حكام يتناوبون على العنف والاضطهاد ؟ وهل أبسط من عفوية تعبير ابن الشعب عن نزقه وغضبه من الحكّام وأهل السلطة بقوله كلما أتت أمة لعنت